المكتبة الخضراء للأطفال

٥١

بلاد النهر

تأليف
دكتورة منى عثمان



رسوم
ماهر عبد القادر

المكتبة الخضراء للأطفال

٥١

بلاد النهر



تأليف
دكتورة منى عثمان

رسوم
ماهر عبد القادر

الطبعة الثانية


دار المعارف

فِى سَـالف العصُورِ والأَزْمان، وَفِى بُقعةٍ بعيدةٍ عَلى سَـطْحِ الأرْض، وُجدتْ (بلدَةُ الجبلِ)، كَانتِ الحياةُ فيهَا تسيرُ هادئةً بسكانهَا الذينَ كانُوا يتمتعـونَ برَغَدٍ منَ العيشِ، بفَضْلِ حَاكمهـم العَادلِ الذِى اهتمّ بشـئونِ البلادِ وجيشـهَا، حتّى صارَ منْ أَقْوَى الجيـوشِ، وزيَادة فِى حمَايـةِ بلاَده بَثّ رجَالَهُ وأعْوَانَهُ فِى البلادِ المجَاورَةِ ليعرفَ أخبارَهَا ولاَ يستطيعُ أَحَدٌ أنْ يمسّ بلاَدَه بِسُوءٍ.

وَفى كُلِّ عام، كانَ الحاكمُ يستعرضُ جَيْشَه بغيةَ أَنْ يُشجعَ المتَازينَ، وفى بعضِ الاَسـتعراضَاتِ السّنَوية، اسـتطاعَ أحدُ الجنـودِ أَنْ يفوزَ بالمركـزِ الأولِ فِى كُل المسـابقاتِ ممّا أثارَ إعجـابَ الحاكم بِه، فَطلبَ هذَا الجندىّ، وَمَا أن اقتربَ منْ منصّة المُلْك بقوامه الممشُـوقِ وعَضَلاته المتناسقةِ حتّى استطاعَ أَنْ يأسرَ الحاضرينَ بذَكَائه الوَقّادِ الذِى يَشعُّ منْ عينيْهِ . ووسطَ كلمَات التشْجيع والاستحْسَان، مَنَحه الملكُ رتبةً كبيرةً بالجيشِ وقَرّبه منْه، وَأَسْبغَ عليه منْ عَطْفه وعَطَاياه الثمينة.

كانَ هذَا الجندىُّ يسـمّى طَـارق وكانَ الحاكمُ يُكلفه بالأمورِ المهمةِ؛ لأنه كانَ فارسًا مِغْوارًا لا يهابُ شيئًا.

وَفِى يوم منَ الأيام اسـتدعَاه الحاكمُ على عَجَلٍ، وسمحَ له بالجلوسِ قريبًا منه، وكَانَ القَلقُ باديًا عَلى الحاكمِ، سأَلَ طارقٌ نَفْسَه عَمّا يشغلُ الحاكمَ إِلى هَذا الحد؟!.

وأخيرًا رفعَ الحاكمُ رأْسَه وصَوّب نظَرَاته لِعيْنى طَارق وسَأَله:



هلْ سـمعتَ عـنْ بلادٍ اسـمهَا بلادَ النهــرِ؟! فأجابَ طـارقٌ: نعمْ يَا سَيِّدى.. إنهَا البلادُ التِى تقعُ فِى أَقْصَى الشرقِ، ويفصلهَا عَنْ بَلْدتنَا عِدّةُ بلادٍ.

هزَّ الحاكمُ رَأْسَه قائلاً: حسنًا.. فأنت إذَنْ تعرفهَا جيدًا، ثُمّ أردفَ لقدْ عَلم رجَالُنَا وَأعْوَانُنَا أنّ هَذه البلادَ تعدُّ العدةَ لغزْوِ بلادنَا.

انقبضَ قلبُ طارقٍ ونظرَ إلى عَيْنى الحاكمِ القلقتيْنِ فاستطردَ الحاكمُ قائلاً: وعلمنَا أنّ بلادَ النهرِ لهَا جيشٌ قوىٌّ وَلَدَيهَا عدةٌ وعَتَادٌ، ونحنُ لـنْ نقفَ مَكْتوفى الأيدِى حتّى يُبَاغتنَا العـدوُّ فِى عُقرِ دَارِنَا فالهجُومُ خَيْرُ وسـيلةٍ للدّفاعِ.. ولذلكَ فكّرتُ أنْ أرسلك إلى بلاَدِ النهرِ مُتخفيًا لتعمـلَ مع مجموعــةٍ من الرجالِ عَلى إثارةِ الهـرَجِ والمرَجِ فى صفوفِ جَيْش الأعـداءِ حتّى يُؤَجلوا الهجومَ قليلاً ليتسـنّى لَنَا إعداد العدّة، وَلكنْ نريدُ معرفةَ الطريقِ الذى سيسْـلُكُونه إلينَا؛ لأَنّ ذلكَ سيساعدنَا فِى تدبيرِ خُطّةٍ للقضَاءِ عَليهم.

نهـضَ الحاكمُ وأخذَ يروحُ ويغدُو بالغرفـةِ ويديْه مَعْقُودتين خلفَ ظهرِهِ مُسْـتغرقًا فِى تَفْكيره، وطارقٌ يقفُ ويتابعُ الملكَ بعينيْه وَذِهنه يتلاطمُ بالأفكَارِ.

التفـتَ الحـاكمُ إلـى طـارقٍ قَائِلاً: لقدْ أرسـلنَا أحـدَ رجالنَا الـذى يدعَى عبود منذُ سـنينَ طَوِيلَةٍ مُتنكرًا فـى هيئةِ أَهلِ تلكَ البلادِ واسـتطاعَ أنْ يعملَ بُسْـتانيًا بحديقةِ القصرِ المَلكى وهو منْ

أخلصِ رجالنَا، وعَلى اتصالٍ دائم بنَا بالرسَائلِ التى يبعثُ بهَا عنْ طريقِ الحمامِ الزّاجلِ.. وقدْ أرسَلَ إلينَا رسالةً تحتوى عَلى معلوماتٍ وخريطةٍ تحددُ لكَ النقطةَ التِى ستدخلُ منهَا جيوشُ العدوّ حديقةَ القصْر. انصَرف الآن لكى تعدّ نفسكَ لمغادرةِ البلادِ، وسَيكون أحدُ رجَالِى معكَ؛ ليشرحَ لكَ كلّ دقائقِ الأُمورِ وَيمدَّكَ بكلِّ ما يلزمكَ.

قالَ طارقٌ بحماسهِ المعْهُود: إنّ رُوحِى ملكًا لبلادِى ولنْ أتوَانى يومًا عنْ تقديمهَا فداءً للوطَن. وأدّى التحيةَ العسكريةَ وانصَرف. ومَا أن همّ بفتحِ البابِ حَتّى فُتِحَ وَحْده، ووجدَ رجلاً ذا لحيةٍ طويلةٍ مُدببةٍ اصطحبَ طارقًا مَعَه لتجهيزِ كُلِّ شَىْءٍ.

ومَا هِىَ إلا أيامٌ معدودَات حتّى كانَ طارقٌ مُلمًّا بكلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ عن عادَات وتقاليدِ أهلِ تلكَ البلادِ، واصْطَحبهُ الرجلُ وَمَعه بعضُ الحرسِ إلى شَاطىء النهر حيثُ يُوجدُ قاربٌ صغيرٌ قوىٌّ وضعَ فيه كُلّ مَا يحتَاجُ إليْه، وفى القاربِ رجلٌ عجوزٌ يجلسُ ممسكًا بالمجْدافيْنِ. صاحَ ذُو اللحيةِ المدببةِ، اهتم به يا عم عَتيق وَبودٍّ ظاهرٍ التفتَ إلى طَارق مازحًا: لاَ عليكَ منْ وجههِ المتَغضّنِ وشَعْره الأَشْيب، فقدْ صرعَ ذئبًا بذرَاعيْه منذُ أَيّام.

ضحِكَ الرجلُ العجوزُ فخورًا بنفسِه، وارتفعتْ ضحكاتُ الرجالِ الواقفينَ.. ثُمّ صَافحه الرجلُ وشدّ عَلى كَفّه بحرَارةٍ قَائلاً:



لا تنسَ أنّ مصيرَ الوطنِ يتعلـقُ بنجَاحك. كَمَـا أنّ حياتَكُم تهمنَا جداً.. أجَابه طارقٌ بثقة:

إنْ شـاءَ الله سـنكونُ عندَ حسـن الظنّ وآمل ألاّ تكفُوا عن الدعاءِ لنا بالتوفِيق، ثـم قفزَ إلى القاربِ وبدأ العجـوزُ بالتجديفِ وهُمْ واقفونَ يُلوّحونَ لهمَا حتّى ابتعدَ القاربُ فِى عرضِ البحرِ.

زفـرَ طارقٌ زفرةً عميقةً واسـترخَى فِى جلْسَـته ونظرَ إلى عم عتيق فوجدَهُ يبتسـمُ له وهوَ يجدِفُ فابتسمَ بدوْرِه.. بَادره عم عتيق قائلاً: مُهمتُكَ صعبـةٌ ولكنّ الجميعَ يثقونَ بكَ ويتوقعونَ لكَ النجَاح.. أجَابه أتمنّى ذلكَ يا عم عتيق.

أَخَـذَ عـمْ عتيق يجدّفُ وهو شـاردٌ ثُم قَـالَ له: قد علمـتُ يَا بُنَىَّ أنّ بـلادَ النهرِ محاطةٌ بالنهرِ منْ ثلاثِ جهـاتٍ، أمّا الجهةُ الرابعةُ فصحْرَاءُ شاسـعَةٌ فيهَا قُوّاتٌ كبيرةٌ منَ الجيشِ وسَـأصحبُكَ إلى مكانٍ ليس ببعيدٍ عنِ الشّـاطىء، حيثُ يُوجدُ نُتُوءٌ صَخْرِى عَلىَ شـكلِ رأسِ ثورٍ ذى قرنين، وعندَما تهبُّ الرياحُ خلالَ فتحاتِ هذَا النتُوء، يصدرُ منْـهُ صوتٌ كخُوَارِ الثورِ ممّا زرعَ الفزعَ فِى قلوبِ النّاس، وانتشـرتِ الخرافاتُ والشـائعاتُ عنِ الجَان والشـياطينِ التى تسكنُ هذَا المَكان، ولذلـكَ لا يجرؤُ أحدٌ منْ أهلِ تلكَ البلادِ عَلـى الذهابِ إليه أو القربِ منه.. ولذلكَ فهو أمانٌ وإنْ شَـاء الله سنصلُ ليلاً ليساعدنَا الظلامُ عَلى التخفِّـى عَن أعينِ الحرَاسِ المنتشـرةِ عَلى الشّـاطىء وهناكَ سـأنتظرُ



وتستطيعُ - أنت - السباحةَ بمفردكَ لتصلَ إلى الشّاطىء وتكملَ بَاقى الخطةِ مَعَ صديقنَا عبود.

استغرقَتِ الرحلةُ أيامًا طَويلة. وكانُوا يتناولونَ طعَامهم اليابسَ المكونَ منَ الخبزِ واللحمِ المقدّدِ والفوَاكه المُجَففة.. فبذلكَ تكونُ وَجْبتهم مُتَوازنة منَ الموادِ النشَويّة والبروتينَات والسُّكّريات، وكانَ طارق وعم عتيق يتناوبُونَ التجديفَ والرّاحة.

واستمرّ الحالُ عَلى نَفْسِ المنْوَالِ وهمَا لاَ يكفّانِ عَنِ الصلاةِ والابتهالِ إلى اللهِ ليسَاعدهما فى إنجازِ المهمّة.

وَأَخيرًا رسَا القَاربُ بمحَاذَاةِ النتوءِ الصّخْرى، فدارَ عم عتيق نصفَ دورةٍ للخلفِ إلى تجويفٍ فِى الشّاطىء، أخفَى القاربَ فِيه وربطَه جيدًا ثمّ ترجّلَ حَاملاً مصْبَاحًا غيرَ مُضىء، وسارَ فِى طريقٍ مُلْتف يَعْلمه جيدًا وطارق يتبعهُ صَامتًا حَتّى وصلاً إلى نقطةٍ مُعينة توقفَ عندهَا، وأشعلَ المصباحَ بعودِ ثقاب. تبدّدَ الظلامُ الدامسُ فإذَا هُمَا فِى بقعةٍ فسيحةٍ مثل قاعة سقفهَا مُرْتفع وبه فُجُوات كَثيرة تسمحُ بتجديدِ الهَوَاء، التفت طارق معانقًا عم عتيق وطلبَ منه مداومةَ الدعَاء له ليعودَ - سَالمًا - مع عبود.. ومَا هى إلا ثوانٍ وكان طَارقٌ يسبحُ تحتَ سطح الماءِ قَاصدًا النقطةَ التى حددهَا عبود ثم أخرجَ رأسَه وتلفتَ بحذرٍ وقفزَ بخفّةٍ إلى الشّاطىء مُتسترًا بالظلاَم.

وبالقربِ منَ الشّاطىء كانت هناكَ الشجرةُ الكبيرةُ التِى وصفهَا



عبّودُ فى رسَالته.. وعندمَا بحثَ فِى فرعَها المُتدلّى وجدَ ملابسَ عَلى طـرازِ ملابس أهلِ البلادَ، خلع ثيابَه المُبَلّلـةَ وارتدى الملابسَ الجافّةَ عَلى عجلٍ، وانطلقَ باحثًا عنِ الكوخِ الخَشبى حيثُ ينتظرُه عَبّود.

وبينمَـا هو ينتقلُ بحذرٍ سـمعَ صوتًا خَافتًا لنحيـبِ امرأة. تيقّظَت شـهامتُهُ وأخذَ يبحثُ سـريعًا عنْ مصدرِ الصوتِ حتّى وصلَ إلى بناءٍ صغيرٍ بطرفِ البسـتانِ يكادُ يَخْتفى خلفَ الأشـجارِ الكَثيفة.. تسللَ بخفـةٍ وأطلّ بحذرٍ منْ نافذةٍ مَفْتوحة فشـاهدَ منظـرًا عجيبًا.. كانت هناكَ امرأةٌ شـابةٌ جميلةٌ شعرهَا الذّهبى مُسْترسِلٌ، تجلسُ على حَافةِ فراشٍ بسـيطٍ، وأمامهَا تَابُوتٌ له واجهَةٌ زُجَاجيـةٌ يظهرُ منْ خلفهَا وجـهُ ميتٍ محنـطٍ. انقبضَ قلبُ طارقٍ وأرهَفَ السـمعَ فلـمْ يميزْ إلاّ كلماتٍ بسـيطةٍ وسـطَ هذا النّحِيب، وفهمَ أنّ هذه المرأةَ تبْكى زوجَهَا الذى يرقدُ داخلَ التّابوت.. جَاءت الوصيفةُ منَ الداخلِ بقوامهَا البدين حاملةً بينَ يديهَا بعضَ طعامٍ، وَربتَتْ على كتفِ الشّابةِ برفقٍ قَائلةً: سـيدتى الأميرَة لابدّ أنْ تتناوَلينَ شيئًا منَ الطعامِ، لقد ظَللت عَلى هَذَا الحالِ يومينْ كاملِيْنِ وأَخْشى عَلى جسدكِ الهزيلِ منَ الانهيارِ.

جَاءت كلمـاتُ الأميرةِ مُتقطعة يتخللهَـا نحيبُهَا دعينى يا زهرة. وَضَعـت الوصيفةُ صينيّـة الطعام فوقَ مائدةٍ صغيـرةٍ بجوارِ الفرَاش، ثم جلسَـت بجوارِ الأميرةِ وأمسَكت بكفهَا بينَ يديهَا وقَالت بحنان: كنـتِ دَوْمًا تنادِيننى أمـى، والآن بعدَ أنْ كبرتِ وصـرتِ ملكةً لبلادِ



الشلال تُنَادينني باسمي.. التفتت الأميرةُ إلى زهرة وطَالعتْهَا بعينيْنِ باكيتيْنِ، ثُمّ ارْتمتْ فوقَ صدرِهَا وانخرَطت في نَوْبةٍ منَ البكاءِ الحَار، حتّــى تقطّعَت نياطُ قلبِ طَارق لهذِه الفرَاشـةِ الجميلةِ التِي تكابدُ منَ آلام الحياةِ مَا لا تُطيق.

اسَـتمرّت الخادمــةُ تمسحُ رأسَ الأميــرةِ، وتربتُ عَلــى ظهرهَا وتلاطفهَــا. أمّا طَارق فقد دَفَعه الواجبُ الوَطنــى إلى البحثِ عنْ كوخِ عَبُّـود حَتّى وصل أخيرًا إلى عدةِ أكواخ خَشَـبيةٍ فِي الطرفِ الآخرِ منَ البستانِ، وأمامَ أَحدِ هَذه الأكواخ كَانت هناكَ جَرّةُ ماءٍ مُغَطّاة مُثبتة فوقَ حامــلٍ مَعْدنى.. تلفّت حَوْله، ثم طرقَ البابَ الخَشـبى بحَذرٍ طَرْقتين مُتَتَاليتــين، ثم طَرْقة وَاحدة فقط.. سَـمِعَ صوتًا منْ وراءِ البابِ يســألُ هَلِ الطارقُ ظمآن؟ أجــابَ طارق: نعم والجَرّة خَالية. كَانت هَذه كلمةُ السر، ثُمَّ فُتِح البابُ، واندفعَ طارقٌ بسرعَةٍ للدّاخلِ، وأوصَدَ البَاب. ظَلّ طارق وعبود خلفَ البابِ بُرْهةً يُرْهفَانِ السمعَ وأنفاسهمَا تكادَ تتوقفُ منْ فَرْط الانفعالِ. فلمّا أحسّــا بالأمانِ، تعانقَا وأخذَا يتبادلاَنِ الأخبارَ والأسئلةَ بصوتٍ خافت.

وَمَا هى إلاّ سَــاعةٌ مَنَ الزمنِ حتّى بزغَ الفجرُ وبدأَتْ أنوارُه الخَافتةُ تتسلــلُ وتنتشرُ عَلى الكونِ الفَسيحِ.. انصرفَ عَبّود لعملِه تاركًا طارقًا حتّى لا يُسَاورُه شكٌّ.

وفى المســاءِ عَاد عبود – مُحملاً – بأَطَايبِ الطعامِ منْ مطبخِ القصرِ،

ومَــا أن أغلــقَ بابَ الكوخ خَلفه حتّى ظهرَ طَــارق من خلفِ الخَزانة، وتنفّسَ الصُّعَدَاءَ قائلاً: ظَننتكَ أحدَ الغربَاء.. ابتسمَ عبود وضربَ كَتفه بخفة قائلاً بهمس: لا تخفْ لاَ يأتِى أحدٌ إلى كُوخِى.. أشارَ طَارق إلى الخزانَةِ وقَال: هنَا تحتفظ بالحمَــام الزّاجل.. ضحكَ عبود وهو يفردُ مفرشًــا صغيرًا على الأرضِ نعم ولا أَحدَ يعلمُ هذَا السرّ إلاّ أنتَ الآن.. وتعاونَا عَلى تجهيزِ أطباقِ الطعام عَلى المفرَش..

ضحــكَ طارق وقال: منذُ تركتُ بــلاَدى لم أحظَ بوجبةٍ لذيذةٍ كَهذه.

رَدّ عبــود: أعلمُ ذلكَ يَا صَدِيقى لذلكَ أتيتكَ بكلِّ مَا اســتطعْتُ حَمْله.. ثــم تناولَ قطعةً كبيــرةً منَ اللحم المشْــوى ووضعهَا فِــى صحْنِ طَارقٍ وقَال: ســمعتُ اليــومَ أخبارًا هامّة. تبلّعَ طارقٌ طعامَه بســرعةٍ ناظرًا إليــهِ يســتحثُّهُ المُضى فِى الحَديث.. اســتطردَ عَبود وهــو يصبُّ كوبًا مــنَ الماءِ البارِدِ قائلاً: أحدُ أصْدقائى الجنُود يشــكُو مِنْ كثرةِ التدريب تمهيدًا للغزْوِ الذِى ســيجتاحُ بلادنَا - نحــن - قريبًا.. وقدْ طلبَ منَ الطّاهى تجْهِيز بعضِ اللحم المقددِ ســرّا ليخفيهِ بينَ طيّاتِ مَلاَبســه؛ لأنهم سيسْلكونَ طريقَ الصحراءِ ويخْشَى منْ قلةِ الطعَام.. كَمَا أنّ كبيرَ الوزراءِ فِى حالةٍ تذمّرٍ شــديدٍ ولاَ يُعجبه شــىءٌ مــنْ تدبيرِ الحاكم، ولكنــه لاَ يملكُ إلاّ الانصيــاعَ لأوامِره كارهًا مُنتظــرًا الفرصةَ المواتيَةَ لانتزاعِ الحكم منه.

لمعتْ عينَا طَارق بفرحٍ وقال: إذنْ علينَا العودَةَ بسرعَةٍ لإخبَارِ الحَاكم

لإعـداد كمين لَهُـم بالصّحرَاءِ.. ولكنّهُ تذكّرَ شـيئًا فجْـأةً.. أَخبرْنِى يَا أخِى.. مَا قِصةُ هذه السيدة الباكِية أمامَ التابوتِ؟.

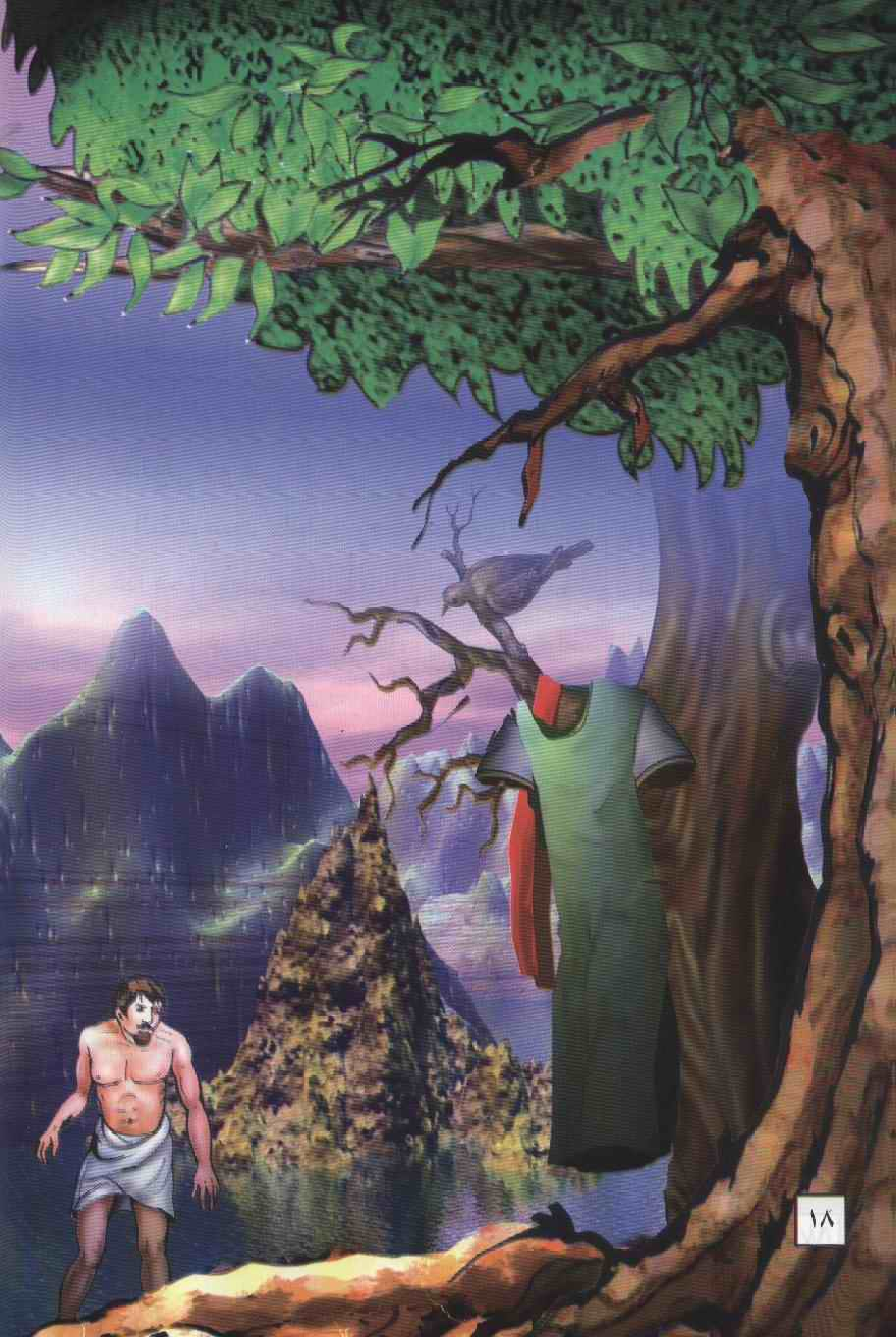
ضحكَ عبود ضحكةً مكتومةً وأشـارَ بيدِهِ باسْتخفَاف: إنّ حاكمَ هذه البلادِ شـيطانٌ مَاكِرٌ.. فهذهِ السـيدةُ أُختـه وكانَ زوجهَـا مريضًا منذُ صِغَـره ويتوقعُ له الجميعُ الموتَ ومعَ ذلكَ زوّجَها له دونَ إذْنِهَا؛ لأنه حَاكم بلاَدِ الشـّلال التِى تقعُ شمَالاً. والآن وبعدَ موتـهِ ضمّ بلادَ الشلالِ



لبلادِ النهرِ. أمّا أُختُه التي أصابهَا الكمدُ والحزنُ الشديدُ بعدَ موتِ زوجهَا فلمْ تكفّ عنِ البكاءِ وتظاهرَ هو بمُشَاطرتهَا أحزانهَا، فنقلَ إقامتهَا لهذَا البناءِ المتواضعِ، ووضعَ لها جثمانَ زوجهَا المحنّطِ فى التابوتِ ذى الواجهَةِ الزجَاجية ليتسنّى لهَا أنْ تطالعَه كلّ يوم بعدَ أنْ أقنعهَا أنّ الوفاءَ لا يكونُ إلاّ بهَذه الطّريقة، وطبعًا.. يعلَمُ الجميعِ أَنه أرادَ بذلكَ إبعادهَا حتّى لا تطالبَ بعرشِ زوجهَا المتوفّى. ولِكَىْ يسْتَوْلى هو عَلى كلِّ شيءٍ.

التفتَ عبود لطارقِ وهمَا يُلملمَانِ الأطباقَ الفارغَة: علينَا بالعودةِ غدًا فجرًا وسأُمهّدُ أنَا طريقَ الفرَارِ أولاً ثمّ أعودُ إليكَ حتّى نكونَ فِى أمانٍ منْ أعينِ الحرَس.. ونَامَ الاثنانِ وكلٌ واحدٍ يعتملُ فى ذهنهِ أفكارًا مُتلاَحقة.

ومعَ أوّل خيوطِ الفجْرِ انطلقَ عبود إلى البستانِ متظاهرًا بتأديةِ عَملِه، ولم تمضِ إلا فترةٌ قصيرةٌ حتى عادَ لاَهثًا تكادُ عيناه تخرجَانِ منْ محْجريهمَا، وأخبرَ طارقًا بكلماتٍ سريعةٍ أنّ أحدَ المزارعينَ وجدَ مَلابسه المبتلةَ عندَ الشجرةِ الكبيرةِ وسيذهبُ ليبلغَ رئيسَ الجند، فالجميعُ يعلمُ أنّ هذَا هو الزىُ الوَطنى لبلادِ النهرِ ومعنَى ذلكَ أَنّ هناكَ بعضَ الجوَاسيسِ بالقصرِ.. وَجَمَ طارق ولم ينطقْ بشيءٍ. قال عَبّود بسرعةٍ.. لا تقفْ هكذَا سيقطّعُونَنَا إرْبًا إرْبًا، واستطردَ وهو يَدْفعه برفقٍ إلى البابِ، اهربْ قبلَ أنْ يأتى الحرسُ وينكشفَ أمرنَا.



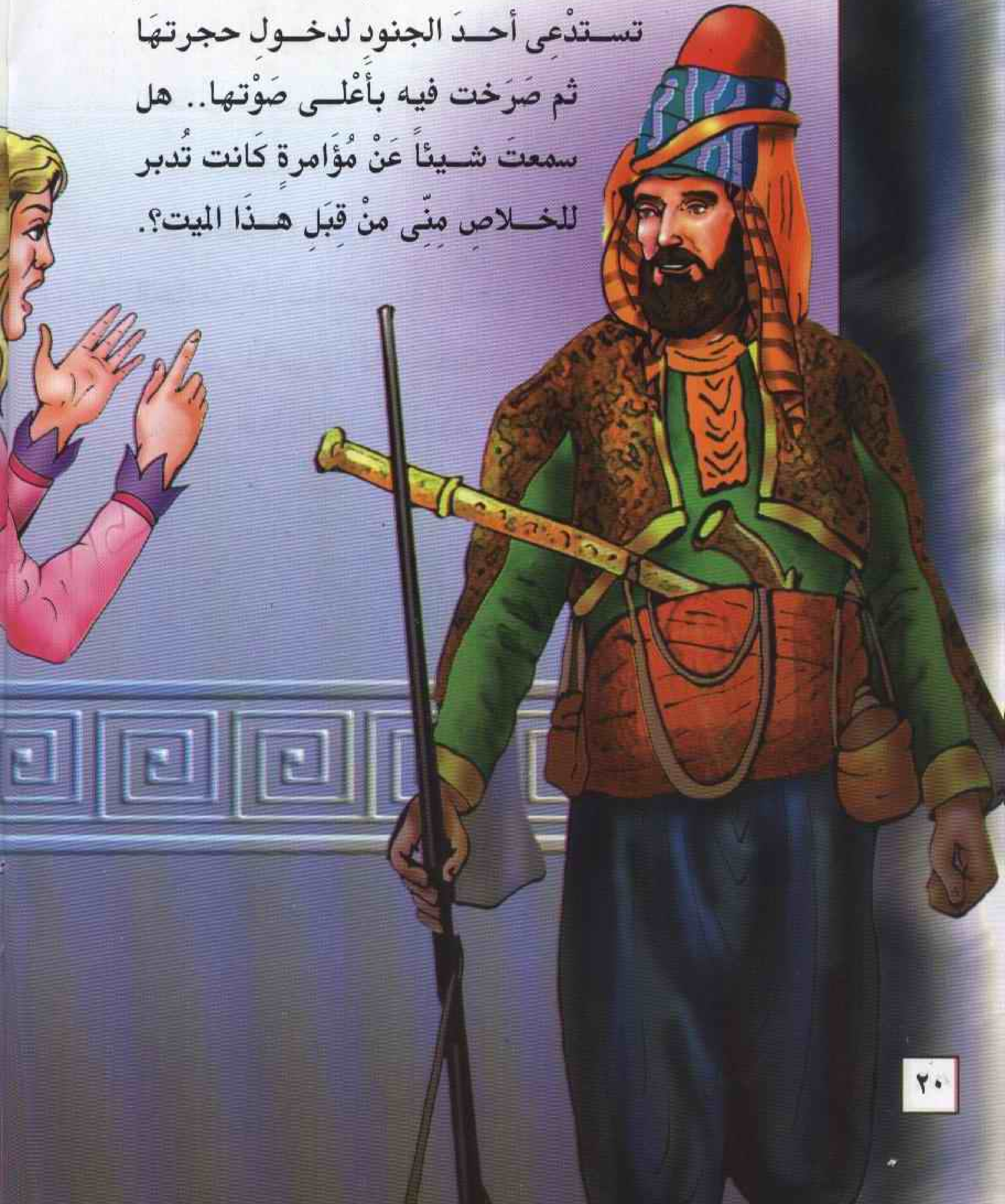
انطلقَ طارق ودقّات قَلْبه تتسارعُ وَمَا أن اقتربَ منْ حافةِ النهرِ حتى شاهدَ من بعيدٍ مجموعةً منَ الحرسِ ترتفعُ أصوَاتُهم ويشيرونَ بأيديهِمْ إلى الشجرةِ الكَبيرةِ.. فانطلقَ يتوَارى خَلْفَ أشجارِ البستانِ ولم يدرِ بنفسِه إلاّ وهو يقفزُ داخلَ غرفةِ الأميرةِ الباكيةِ.. ولحسنِ الحظِّ كانَ النعاسُ قد غلبهَا فلَمْ تره وهو يختفى أسفلَ سريرهَا.

استيقظتِ الأميرةُ عَلى الحركةِ اليسيرةِ وصَاحت: مَنْ؟ مَنْ؟ هَلْ أحدٌ بالغرفةِ؟ سادَ الصمتُ وقلبُ طارق يكادُ أَنْ ينخلع رعبًا، جَاءت الخادمةُ البدينةُ مُسرعةً تسألهَا بصوتٍ اختلطَ فيه النعاسُ بالخوفِ سيدتى الأميرةُ: مَاذا حدثَ؟.. تلفتت الأميرةُ تجولُ بنظراتهَا فى الهواءِ حولهَا وقَالت بهمسٍ: لابدّ أَنّ روحَه معنَا الآن بالغرفةِ ثُمّ انخرطَت فى بكاءٍ عَنيف.. تنفسَ طارق الصّعداء وظهرَ الامتعاضُ عَلى وجهِ زهرة وجلسَت بجوارهَا على حَافةِ الفرَاش، فهبطَ الفراشُ بقوةٍ لأسفلَ فوقَ رأسِ طارقٍ الذى كادَ أنْ يصرخَ.. يا حبيبتى لم يجرؤْ أحدٌ عَلى إخبارِكِ بشىءٍ بشأنِ زوجكِ المتوفّى خوفًا عليكِ وَلكنىّ سأخبركِ الآن بكلّ شىءٍ خوفًا عليكِ أيضًا، لأنكِ تذبلينَ كل يومٍ حُزنًا عَلى إنسانٍ أَخْفى عنكِ حقيقتَهُ الخبيثَةَ!!..

نظرَتِ الأميرةُ بحدةٍ إلى زَهْرَةٍ وصَاحت: تَبًّا لكَ لاَ تتكلّمى عنه بهذِه الطريقة.. استطردَت زهرةُ غيرُ عابئةٍ.. إنه كانَ يخططُ للخلاصِ منكِ والزوَاج بابنة ملكِ البلادِ المجاورَة، ليتسنّى له ضمّهَا إلى

بلادِهِ وتأكّدِى بنفسِــكِ إنْ كنتِ لاَ تُصَدقينني.. اسألِى أىَّ جُنديٍّ منَ الحرَس.

جنّ جنـونُ الأميـرةِ واندفَعَـت للنافذة تسـتدْعِى أحـدَ الجنودِ لدخـولِ حجرتهَا ثم صَرَخت فيه بأَعْلـى صَوْتها.. هل سمعتَ شـيئاً عَنْ مُؤَامرةٍ كَانت تُدبر للخـلاصِ مِنّى من قِبَلِ هـذَا الميت؟.



تَلَعْثم الجندىُّ وزَاغت نظراتُهُ بينَ الأميرةِ وزهرة وأخيرًا قال:

نعـم يا مولاَتِـى.. وكانَ الناسُ جميعًـا يَصِفُونَهُ بالغباءِ والخِسّـة، فابنـةُ ملكِ البـلادِ المجاورةِ لاَ تصـلُ إلى نصفِ مَرْتبتـكِ منَ الجمالِ وحسنِ الأدب.

انهَارت الأميرةُ فى جِلْستهَا عَلى الكُرسى مُتَمْتمة، إذنْ الحكايةُ صَحِيحة. تلفّـتَ الجُندى حَوْله بارتباك ثُمّ انصرفَ مُسرعًا.. اقتربتْ منهَا زهرةٌ



وقالـتْ قَدْ توليْـتُ تربيتك منذُ أنْ تُوفيت وَالدتـكِ رحمهَا الله وأنتِ طفْلة رَضِيعة، ويعلمُ الله كَمْ أُحبك وأشـعرُ بأنك ابنتى وَفلْذَةُ كبدِى.. ثُم مَسَحت بإحدَى كفيهَا الدموعَ المنحدرةَ عَلـى وَجْنة الأميرةِ.. كانَ يمطرك بِكَلمَاته المعْسُولةِ تملُقًا لأخيكِ الملك، ولمْ تعلَمى أَدْنى شـىءٍ عنْ سياسَـته الداخليّة لبلادِ الشـلالِ المغْلُوبة عَلـى أمرهَا.. وبدلاً منْ أنْ تَصْلحى مَا أَفسـده عَلى مَدَى سـنوات انزوَيتِ بينَ هذه الجدرَان، وحبسْتِ نفسكِ معَ الأوهَام تاركةً أَخَاكِ الطّاغى يضمُّ بلادَ الشلالِ لبلادِ النهر، ويعيثُ فسادًا فيهمَا أكثر منْ هذَا الميتِ الماثلِ أمامنَا.

نظرتِ الأميرةُ بوهَنٍ مُتوسـلةً إليهَا، أرجوكِ يَـا زهرة.. يَا أمى.. يـا حبيبتـى.. أنا لا أسـتطيعُ التحملَ أكثـرَ منْ هَـذَا.. ردّت زهرة بغضبٍ: بلْ تَسْـتطيعين وأَنا لو تركتكِ تستسلمينَ بهذَا الشكلِ المُهين سـوفَ يقضِى أخـوكِ عليكِ كَمَا قَضَى مِنْ قبلُ عَلـى أخيه الأكبرِ لتظلّ السـاحةُ خاليةً له. تقلّصَ وجهُ زهرة وصَاحت فِـى ذُهُول ماذَا؟ ماذا قُلْتِ؟.. هَلْ أخِى هذَا هُوَ الذى قَضَى عَلى أخِى الأكبر؟!..

أجابت زهرة فِى أسَـى نعمْ يَا حَبيبتى.. أنتِ ملاكٌ طاهرٌ لاَ تدرينَ شـيئاً عما يحدثُ فى الخفاءِ.. كنت طفلـةً صغيرةً عندمَا مرضَ أخوكِ الأكبر بمرضٍ يسـيرٌ وأَصَابته حُمَّـى، وكانَ أحدُ الخدم الأوفياءِ يلازمُ المريـضَ دائمًا حتى يُلَبى احتياجَاتـه.. وذاتَ ليلةٍ طلبَ منه كُوبًا منَ العصيـرِ فذهبَ لإعدادِه وعندَ عَوْدتـه أراد ألاّ يزعجَ المريضَ لعله نَائم

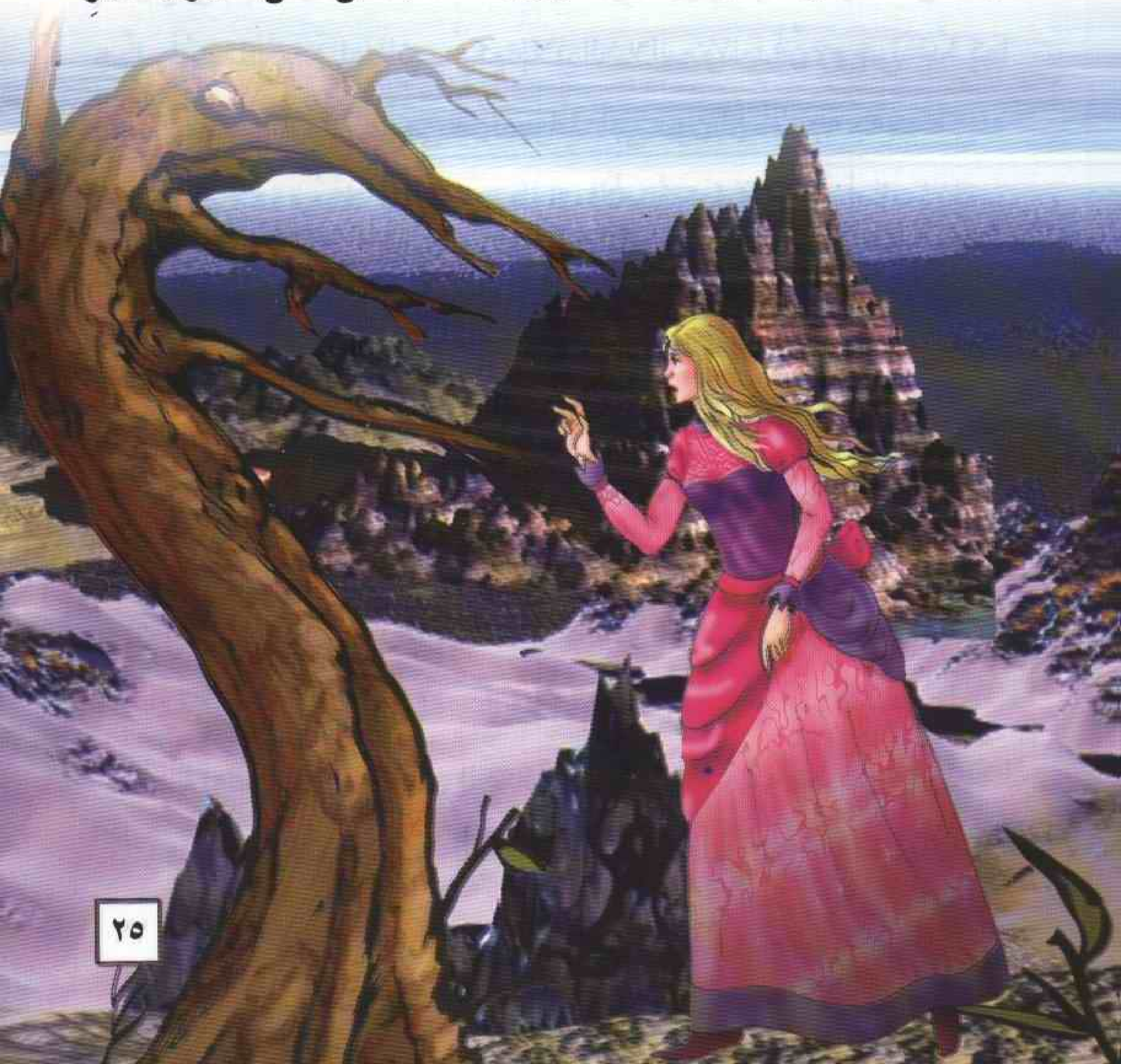
فدخلَ بخفةٍ ومنْ خلفِ الستائرِ شاهدَ أخَاكَ الحَاكم مُطبقًا عَلى عُنقه حتّى أزهقَ رُوحَه، فتسللَ الخادمُ هاربًا وأتَى إلى المطبخِ فى حَالةِ هَلَعٍ وكنتُ بالمطبخِ فى ذلكَ الوقتِ منَ اللّيلِ أُجهزُ لكِ الحليبَ، فَأَسَرّ إلَيّ بما رَأَى فنصَحْته بإطباقِ شَفتيْه وإلا سنواجهُ نفسَ المصيرِ، وفى الصباحِ أُشيعَ الخبرُ أنّ ولىّ العهدِ مَات بتأثيرِ الحُمّى. فَصدّقه الجميعُ.. ظلّت الأميرةُ واجمةً وزهرةُ منكسَة رأسهَا للأرضِ، ويعْترِى وجههَا الأَسى، وأَخِيرًا تكلّمت الأميرةُ.



قالت: بالأمس غَلَبنى النعـاسُ ورأيتُ رُؤْيةً جَعَلتنى أفرحُ. نظرتْ إليهَا زهرةُ باهتمام وَقَالت مُسْرعةً: (ماذَا رأيتِ).. أَسْـندت الأميرةُ رأسهَا لظهرِ الكُرسى ونظرَت للأمـام وَقـالتْ: رأيتُ أَنى أتقدمُ منْ أخى وهو جَالسٌ عَلى عَرْشـه وحينمَا اقتربتُ منه سقطَ خَاتمى منْ إصْبعـى فانحنيتُ لالتقاطِه.. فرأيتُ ذيلاً يتدلّى منْ تحتِ طَرفِ ثوب أخِى وله أرجلٌ ومخالبٌ كالثعلَب.. اعترانِى خوفٌ شديدٌ منه ونظرتُ مليًّا لوجْهِه فرأيتُهُ يتقلّصُ ويتغيّرُ حتّى صَارَ ثعلبًا.. ركضْتُ.. رَكَضَ



خَلفــى يريدُ أنْ ينقَضّ علىّ فانشــقّت الأرضُ عَنْ جُندى جميل الطلعة غَريبِ الهيئَةِ والملابسِ، اسـتلّ سـيفَهُ وقتلَ الثعلبَ، واستيقظتُ منْ نَومِى فزعَةً.. هزّتْ زهرةُ رأسـهَا بأسَـى قائلةً أرأيـتِ يَا ابنتى.. إنّ الله يُحذرك.. ثم أشـارتْ بضيـقٍ للتابوتِ.. والجثمان هـذَا لابدّ أنْ يُواريَه الترابُ.. هزتِ الأميرةُ رأسـهَا مُتمتمةً نعم نعم لابدّ أنْ أنْهَضَ وأكونَ قويةً سـأرحلُ إلى بلادِ الشلالِ، وأشغلُ نفسِى بهموم شعبِى.. ونهضَت مُسْـرعة لابدّ أنْ أغتسـلَ وأبدلَ مَلاَبسـى كـى أظهرَ بمظهرِ



الملوكِ، وسأذهبُ الآن لأخى لأسْتأذنَهُ فِى السّفَرِ واستلام مَقاليدِ الحُكمِ، فنهضتْ زهرة تلحقهَا إلى الحمّام..

أخيـرًا تنفّسَ طارق الصُّعَداءَ.. فمَا أن انصرفتَا معًا إلى الخارج حتّى سارعَ بالاغتسالِ، وشَربَ الماءَ الباردَ، وتناولَ الطعامَ.. ومَا أنْ أتاه منْ بعيدٍ صوتُ الأميرةِ وخَادمتهَا - تقتربانِ - حتّى عَادَ للاختفاءِ أسْـفَلَ الفراشِ مرةً أُخرَى.. ومَا هى إلا ثوانٍ حتى كانتِ الأميرةُ جالسةً عَلى حافةِ فراشِـهَا، تعاتبُ خادمتَهَا غَاضبـةً. أرأيتِ يَا زهرة أخِى طيبٌ جدًّا ولَمْ يمانعْ منْ إعطائِى حُكم بلادِ الشلالِ، وسيدفنُ زوجِى غدًا كمَا أنه سيُعْطينى أيضًا نَصيبى منْ ميراثِ أبى دونَ أنْ أُطالبَه به.

تنهّدتْ زهرة مُفكرةً.. إذَا سـارتِ الأمورُ كمَا قالَ فلنْ أسامحَ نفسِى أبدًا عَلى تَصْديق هذَا الخادمِ الذى قالَ إنه شاهدَ جريمةَ القتلِ بنفسِه، ولكـنْ عليك أنْ تأكلِـى الآنَ.. وتوقّفَت الكلماتُ فِـى حلقهَا.. التفتَتْ إليهَا الأميرةُ ماذَا يَا زهرة؟ أَشارت الخادمةُ إلى مَائدةِ الطعَامِ وقالت: مَنْ أكلَ الطعامَ هلْ دخلَ هنَا أَحَد؟. أشـارتِ الأميرةُ بضيقٍ ومَنْ عسـاهُ أَنْ يَدخلَ أيتهَا الحمقاءُ لعلهَا قطةٌ شارِدَةٌ.. لاَ عليكِ أنا لا أستطيعُ أكْلَ الكثيرِ، وأشـارتْ بيدهَا قائلةً هناكَ عَلى الرّفِ توجدُ علبةٌ بهَا كعكٌ أَحْضرِى لى بعضًا منها.

واكتفـتِ الأميرةُ ببعضِ الكعكَاتِ، وشَـربتْ قدحًـا منَ الحليبِ.. أما زهرة فحمَلت الصينيةَ للداخلِ وَهِىَ فِى حَيْرةٍ منْ أمرهَا.

مَـرّ اليومُ ثقيلاً عَلـى طَارق وهو مختبئٌ أسـفلَ الفراش، ومنْ حين إلى آخرَ تجلسُ زهرة بجوار الأميرة فَتُصيبه ضَغْطةٌ قويةٌ فوقَ رأسِـه بتأثيـرِ وزنهَا الثقيـلِ، والأميرةُ لاَ تكف عنْ تعنيفهَا لظنهَا السّـيئ بأخيهَا المَلك.

جـنّ الليلُ عَلى ثلاثتهم الأميرة مُسْـتغرقة فى سُـبات عميقٍ، بعدَ ليالٍ قاستْ فيهَا السهَادَ والأَرَق.. وزهرة على أريكةٍ فى أقصى الغرفَة يتعَالى غَطيطُهَا، وطارق أسفلَ الفراشِ أَخذته سنةٌ منَ النوم وهو يُفكرُ فِى عم عَتيق وكيفيّةِ الاتصالِ بعبودِ للفرارِ بسرعَة.. وفجأةً انتبهَ طارق عَلى صـوتِ فتحِ البَاب بهدوءٍ، وعندمَا نظرَ منْ مَخْبئه شـاهدَ قدمينْ ترتديانِ الجواربَ فقط، تقتربُ بخفةٍ منْ فراشِ الأميرةِ، تَحَفَّز طَارق للهجومِ، ولمْ يدرِ أيخرجُ الآن لمواجهةِ هذَا المجهولِ أمْ ينتظرِ؟.

فمنَ المؤكدِ أنه يريدُ شرًّا بالأميرةِ، لمْ ينتبه هذَا المجهولُ فى الضوءِ الضعيفِ إلى الطّـاولةِ الصـغيرةِ فِى مُنتصفِ الغرفَـةِ وفوقهَـا علبةُ الكعكِ الزجاجيّة فاصطدمَ بهـا، وتـهشّـمت عَلى الأرضِ باعثةً صوتًا أيقـظَ الأميرةَ، أمّا زهرة فتقلبتْ عَلى الجانبِ الآخرِ وغَمْغَمَت وكأنهَا فى حلْم.

صاحَـت الأميرةُ أخى.. مَاذا أتى بكَ فِى هَذهِ السّـاعة؟ اقتربَ منهَا أكثرَ وجلسَ بجوارهَا عَلى حافةِ الفراشِ ومدّ إليهَا ذراعيْه وقالَ:

لأقضىَ عليكِ أيتهَـا اللعينةُ كمَا قضيتِ عَلى أخيكِ الأكْبرِ منْ قبل..

أتريدينَ أيتهَا الحشـرةُ أنْ تَأْخذى منِّى بلادَ الشلال.. لن أسمحَ لأحدٍ أبدًا أنْ يهدمَ المجدَ الذِى رَسَمْته لنفسِى.

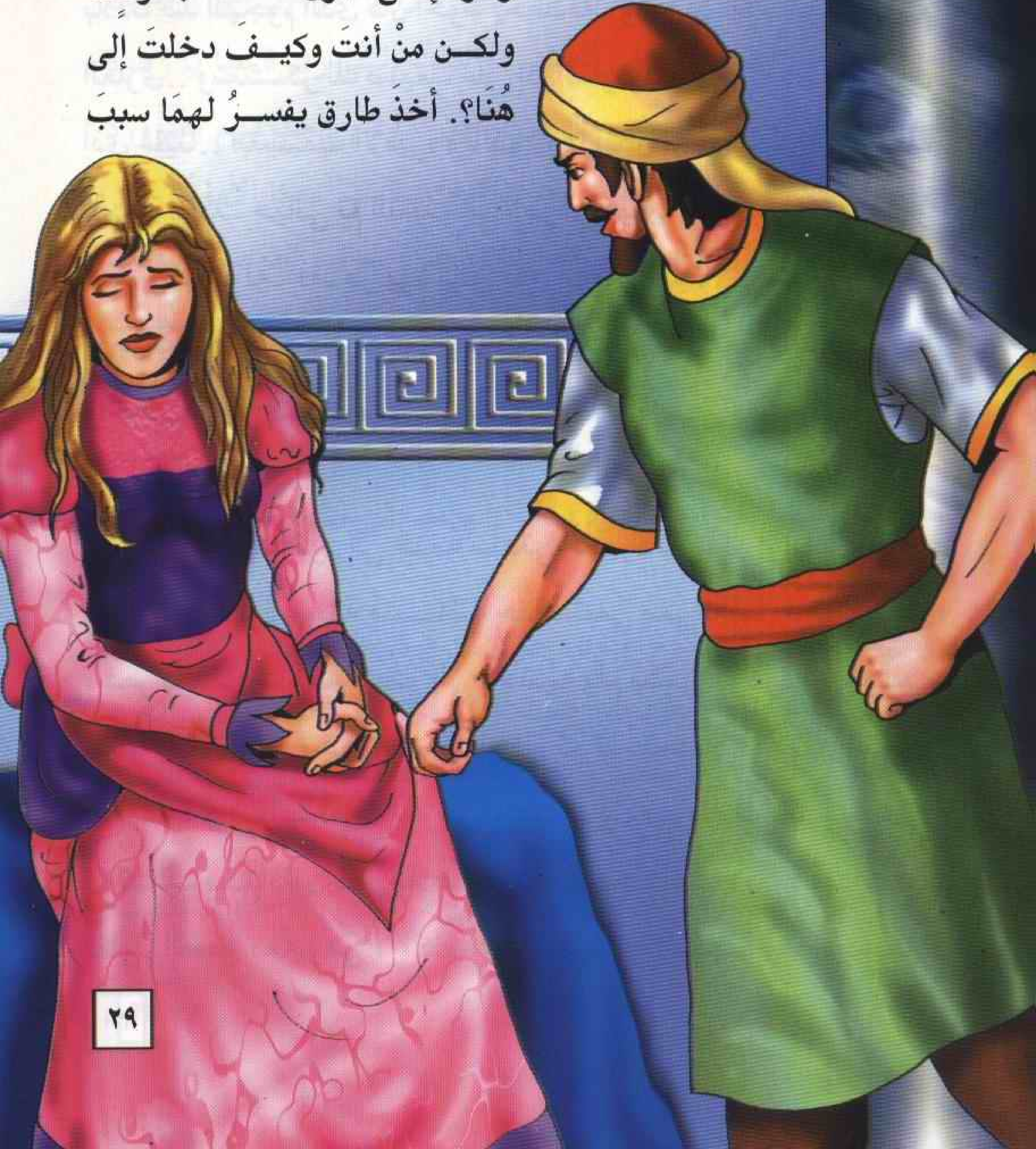
فِى هـذه الأثناء كانَ طارق يزحفُ بخفةٍ من تحتِ الفراشِ ممسـكًا بخِنْجره، حَتّى صارَ خلفَ الحاكم مُباشرة، فعاجَلَه بطعنةٍ قاتلةٍ قبلَ أنْ يَصِلَ بيدَيْهِ إلى أُخته التِى قَفزَتْ صَارخَةً وقدْ تملكهَا الرُّعبُ.



استيقظتْ زهـرة التِـى وقفـتْ مشـدوهَةً لاَ تعى منَ الأمرِ شيئاً، تشـبّثَت الأميرةُ بزهرة وصَرخـت أخِـى كانَ يريـدُ قَتْلِى كمَـا قتلَ أخِـى الأكبرَ.. وكانتْ زهرة تنقلُ نظراتهَا بـينَ طارق الوَاقف أمامهَا

والخنجَـر فِى يَده وبينَ الملكِ المُنْكفئ فوقَ الفراشِ وقَدْ فارقَ الحياةَ.

أطالَت الأميرةُ النظرَ إلى طارق، وصَاحت أنه هو يَا زهرة هـو الجُندى الذِى رأيته فِى مَنَامى يقتـلُ الثعلبَ. التفتتْ زهرة إلـى طارق تَسْـأله بخوف، ولكـن منْ أنتَ وكيـفَ دخلتَ إلى هُنَا؟. أخذَ طارق يفسـرُ لهمَا سببَ



وَجُوده هنَا ومعَ أولِ خيوطِ الفجرِ كانَ قد أتمّ قِصّتَه.

علاَ الوجومُ وجهَ الأميرةِ، واستغرقَتْ فِى تفكيرٍ وحيْرةٍ ثُم قالت له إذَنْ فأنتَ منْ جند العَدُوِّ.. انحنَى طارق أمامهَا بأدبٍ وقالَ أنَا يا سيدتى لست عدوًّا ولاَ وَطَنى عدوٌّ لأىّ بلد، فنحنُ مُسَالمين وكانَ مَقْصدنا فقط الدفاع عَنْ بلادنَا ضدّ الهجوم الذى كانَ أخُوكِ يخطّطُ له، وأبدًا لَنْ نقومَ بدورِ المهاجم الغَازى.. وسنشكرُ لكِ صنيعك على إكرامنَاوتَرْكنا نرحلُ دونَ توقيعِ أىّ أذى علينَا.. ابتسمتِ الأميرةُ وقالت: وهَل تظنُّ أنّ منَ الممكنِ أنْ أُعاقبَكَ بعدَ أنْ أنقذْتَ حيَاتى ثم التفتَتْ إلى زهرة.. هَيّا يَا زهرة أسْرِعى بإحضارِ طعامٍ وشرابٍ له، فقد مَرّ يومٌ كاملٌ دونَ أنْ يأكلَ شيئاً.

جلَسَتِ الأميرةُ علَى كُرسى وقالت: كنتُ دائماً أشعرُ بأننِى ضَعِيفة وأخافُ منْ كُلِّ شىءٍ ولكنْ فِى وجودِ جُندى باسلٍ مثلكَ أشعرُ أننِى فِى أمانٍ.

تمتمَ طارق سأكونُ فى خدمةِ سيدتى الأميرة دَائمًا إنْ أَرَادت. نظرتْ إِلى عينيْهِ نظرةً عميقةً مُتسائلةً حقًّا ستبقَى مَعى دائمًا. ارتبكَ طارق وشعرَ بالدماءِ ساخنةً تندفعُ إلى وجنتيْهِ ولم يَشْعرَا بزهرة التى وَقفت تنظرُ بضيقٍ وهى تحملُ صفحةَ الطعام ثم تَنَحْنحت: مولاتى. التفتت الأميرة آه ضَعيهَا أمَامه يَا زهرة، هَيّا تَنَاولْ طعامكَ فأجابهَا بلطفٍ: إنْ كنتِ ستأكلينَ معى فلا مانعَ عِنْدى. ضحكَتِ الأميرة وبدأتْ فى تناولِ الطعَامِ معه وهى لا تكفُّ عنِ الحديثِ والأسئلةِ وهو يجيبهَا،

وقد تبدّت السعادةُ عَلى مُحَيّاه حتّى تسلّلَتْ أشعةُ الشمسِ عَلى الكونِ الفسيحِ. وهنَا كانَ التعبُ والسأمُ قد سيطرَ عَلى زهرة فصَاحت ألا تشعُرَان بخطورةِ الموقفِ الآنَ؟ نهضَ طارق قائِلاً: لاَ عليكِ سنبدأُ الآن.. ولكنْ علينَا أنْ نصلَ إلى عبود وإلى المخْلصينَ منَ الخدمِ الذينَ تثقينَ فِيهم جدًّا حتّى لا نترك المجالَ لكبيرِ الوزرَاءِ فيعمل عَلى اقتنَاصِ الفرصَة ويفرضَ نفوذَه عَلى البلاَد.. والتفتَ إلى زهرة هيّا يا زهرة أسْرعِي إلى القصرِ واجْمَعى كُلَّ منْ تثقينَ فِيهم وأَخبريهم بضرورةِ التسلُّحِ بالخناجرِ والسيوفِ، وسَنَرى كيفَ ستسيرُ معنَا الأمورُ.

ومَا أَنْ خَرجت زهرة حتّى فتحت الأميرةُ خزانةَ الثياب والتفتتْ لطارق وَقالت: منَ الأفضلِ أنْ تتخَفّى فى ملابسِ زهرة حتّى نتحركَ بِحُريّة. وكانَ عَلى الأميرةِ أنْ تربطَ عَلى جسدِ طارق بعضَ الوسائدِ حتّى لا تكونَ الملابسُ فضفَاضَةً مُتهدلةً عَليه وأخفتْ وجْهه بنقابٍ أسودَ، وسَارَ بجوارِ الأميرةِ يكادُ أَنْ يتعثّرَ فِى مِشْيته فِى الحذاءِ النسَائى ذى الكعبِ العَالى.

وأخيرًا وَصَلاَ إلى كُوخ عبود.. طرقَ طارق البابَ الخَشَبى طرقتين مُتتاليتيْنِ ثُمّ طَرقه واحدةً.. جاءَ صوتُ عبود منْ خلفَ البابِ مُتَسائلاً: هَلِ الطارقُ ظمآنٌ؟ أجابَ طارق نعم والجرّةُ خَالية.. ومَا أن فتحَ البابَ حتّى اندفعَ طارق إلى الدَّاخلِ.

وقفَ عبود مشدوهًا ولم يفقْ من ذُهُوله إلا عندمَا رفعَ طارق النقابَ

عنْ وجههِ ولمْ يتركه طارق يتخبطُ فِى حَيْرته وإنمَا سردَ عليه بسرعةٍ ما حدثَ فِى غرفةِ الأميرة، وظل طارق ممسكاً بيد الأميرة ليطمئنها، بسـرعةٍ وضعَ عبود خنجرَه فى الحزام المشدودِ عَلى وَسطِه أسـفلَ مَلابسـه، وخرجَ منطلقًا إلى القصرِ يتوَارَى خَلْفَ الأشـجارِ المنتشرةِ بالبسـتانِ. أما طارق والأميرةُ فأخذَا يَسيرانِ عَلـى مَهلٍ وما أن وصلاَ إلى القصرِ حتّى أزالَ طارق تنكُّره بسـرعةٍ وصاحَ فِى كلّ رجَالِ القصرِ وقَـالَ: فلْيَعْلـم الجميعُ مِنَ الآن أَنّ الأميرةَ سَـتتوجُ ملكةً لبلادِ النهرِ وبلادِ الشـلال، وأخذت زهرة تقصّ عليهـم كلّ ما حدثَ ليلةَ أمس، واندفعَ الخادمُ العجوزُ يقصُّ عَلى الجميع ما حدثَ منذُ سنواتٍ طويلةٍ فـى مخدَعِ الأخِ الأكبر.. أذعنَ الجميعُ وأطاعُوا بمَا فِيهم كبير الوزراءِ عندمَا شـاهدَا السـيوفَ والخناجرَ بأيدى كلّ منْ يلتفُّ حولَ الأميرةِ وطارق.

ظلّ طارقٌ معهَا يُؤَازرهَا ويحميهَا حتّى اسْتتبّ لهَا الأمنُ، وتسلّمت مقاليـدَ حكمَ البـلاَد.. وهنَا أرادَ طارق أَنْ يسـتأذنهَا فِى الرحيلِ إلى بـلاَده، فتشـبّثَتْ بيدهِ ونظرَتْ إليه مُتوسـلةً.. حقًّا.. هلْ تسـتطيعُ الرحيـلَ عَنّى.. أجابهَا بصوتٍ مُتهَدّج حَزينٍ: مهمَا قلتَ لاَ أسـتطيعُ أَنْ أصـفَ لـكِ مبلغَ الألمَ الذى يعتصـرُ قَلْبى وأنا أبتعدُ عن الفراشـةِ الجميلـةِ التى وقعْتُ فِى حبهَا منْ أولِ يوم وقفْتُ أُراقبهَا خِلْسَـةً منَ النافذةِ وَهى تَبكى.. تشـبثتْ بِه أَكْثر وقَالَت ولماذا تبتَعِدُ ؟.. وتبادلاَ



نظرةً طَويلةً ذَاتَ مَعْنى. ومَا هى إلاّ ساعةٌ واحدةٌ حتّى كانَ خبرُ زواجِ الأميرةِ منَ الجُندى الآتى من بلدةِ الجبلِ قد عمّ أرجَاءَ البلاَد.. وَأُقيمت الاحتفالاتُ وتُوج طارقٌ ملكًا يشـارِكُ زَوجَتَهُ الملكةَ فِى تصريفِ شئُونِ الحكمِ ويعَاونُه صديقُه عبـود الذِى اتخَذَه وزيرًا له.. وبعدَ أيام قليلةٍ كانَ موكبًـا رائعًا تتصدّره الملكةُ، يودّعُ الملكُ وعبود فى سـفينةٍ ملكيةٍ فاخرةٍ مُزَودة بالخدم والبحّارةِ.

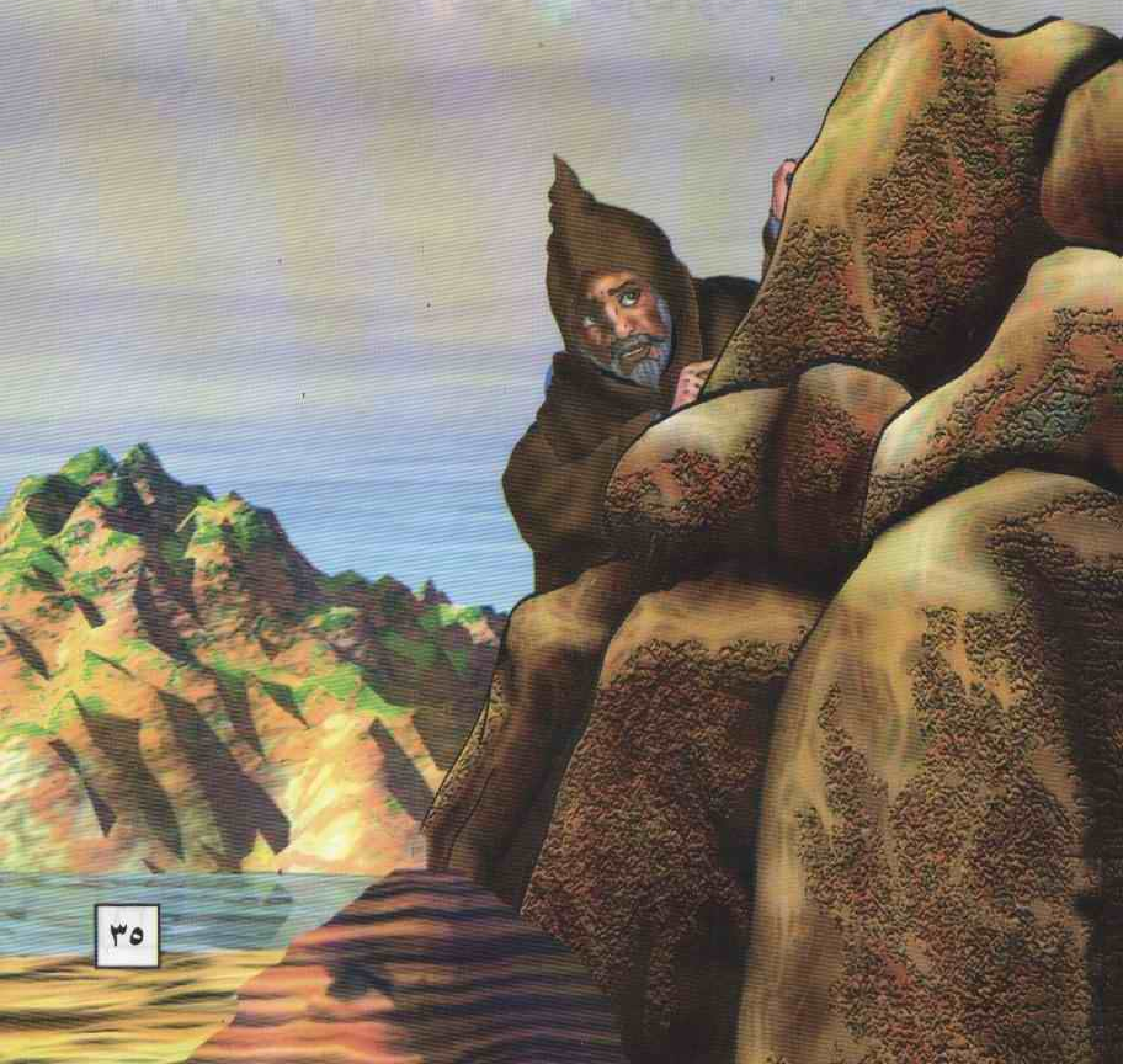
وقفت الملكةُ تُلَوّحُ بيدهَا لطارق، وقَدْ تَلأْلأَتِ الدموعُ فِى عينيهَا وكانَ هو الآخرُ يُلَوحُ لهَا بإحْدى يديْه، ويده الأُخرى تتحسّسُ جيبَ سُترته المحْتوية عَلى خصْلةٍ من شعرهَا الأَشْقر.

ومَا أنْ وصَلت السـفينةُ إلى النتُوءِ الصّخرى الذِى يشبهُ رأسَ الثورِ، حتّـى دبّ الخوفُ فِى قلبِ عم عَتيق الذى سَـارعَ بالاختباءِ بالمرّاتِ المنتشرةِ هُنَـاك، أمّا البحارةُ والخـدمُ فقد أخَذُوا يبتهلـونَ إلى اللّهِ والخَوف منَ الجنّ والعفاريـت يملأُ قُلُوبهم.. ضحكَ طارق وعبود كثيرًا منْ جَهْلهم واعتقَادِهم فى هَذه الخرافاتِ.. ثُمّ قفزَ عبود إلى اليابسـةِ، وانطلقَ إلى المرّاتِ ممسـكًا بمصْبَاحه يُنَـادى عَمّ عتيق، الذِى تَوَارى خلفَ أحدِ الصخورِ، وَرَبَضَ مُسـتعدًّا للقتال. فمَا أنْ شاهدَ عبود حتّى رمَى خِنْجره وعَانقه غير مُصَدق وكلمَاته تتلاَحَق:

كِـدت أَنْ أفقـد الأمـلَ فِـى عَوْدتكمَا لكنْ لـمْ يُطاوِعْنِـى قلْبى عَلى الرحيلِ.

وفِى الطريقِ سَـرَدَ عليه عبود - بسرعة - مَا حدثَ له ولطارق، فمَا أنْ شاهدَ طارق حَتّى صاحَ فرحًا وعَانقه قائِلاً: حمدًا لله عَلى سَلامَتك. الآن يا سـيدى المَلك لا يجوزُ لعم عتيق المسْكين أنْ يتحدّثَ إليكَ بهذه البسَـاطة، ضحكَ طارق وعَانـقَ عم عتيق بقوةٍ وقَالَ: بـلْ يجوزُ أيها الرجلُ العجوزُ.

ومَا أنْ عَادُوا إلى بلدةِ الجبلِ حتّى احْتفَى بهم الملكُ وجموعُ الشعبِ،



وكَانت فرحَةُ الشعب عَارِمَةً بإلغاء الحرْب، وبزوَاج طارق منْ ملكة بلادِ النهرِ وبلاد الشّلال، وأُقيمَت الاحتفالاتُ فِى البلاَد، وأذيعَ النبأُ بقيامِ الوَحْدةِ بينَ بلادِ النهرِ وبلادِ الشلالِ وبلدةِ الجبلِ. فسَارَعت كلُّ البلاَدِ المجَاورة بالانضمَام إليهم.

وبعدَ فترةٍ قصيرةٍ، استأذنَ طارق وعبود الحاكمَ وغادرَا - المكان - إلى بلادِ النهرِ.. وعندَ اقتراب السفينةِ، كانَ موكبُ الملكةِ ينتظرُ عَودتهم.. وكانتْ رايةُ الوحْدَةِ الكُبرى ترفْرِفُ عَلى صَارى السفينة، كمَا ترفرفُ فى سماءِ بلادِ النهرِ التِى صَارت دَوْلةً كُبْرَى يرهبُ بأسهَا الجَمِيع.